

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[229] واحتمل بعض المفسرين أيضاً أن "الحسن" تعني نعمة الأولاد الذكور، لأنهم يعتبرون البنات سوءاً وشرّاً، والبنين نعمةً وحسنً. إلا أن التفسير الأول يبدو أكثر صواباً، ولهذا يقول القرآن، وبلافاصلة: (لَا جَرَمَ أَنْ لَهُمُ الذَّارُ)، أي: أنهم ليسوا فاقدين لحسن العاقبة فقط، بل و "لهم الذَّار" (وإنهم مفرطون) أي: من المتقدمين في دخول الذَّار. والمفراط: من فرط، على وزن (فقط) بمعنى التقدم. وربما يراود البعض منذ الإِسْتِغْرَابِ عند سماعه لقصة عرب الجاهلية في وأدهم للبنات، ويسأل: كيف يصدق أن نسمع عن إنسان ما يدفن فلذة كبده بيده وهي على قيد الحياة؟!.. وكأن الآية التالية تجيب على ذلك: (تَا) لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزَيَّنَ لهم الشيطان أعمالهم). نعم، فللشيطان وساوس يتمكن من خلالها أن يصور أقبح الأعمال وأشنعها جميلة في نظر البعض بحيث يعتبرها مجالاً للتفاخر! كما كانوا يعتبرون وأد البنات شرفاً وفخراً وحفظاً لناموس وكرامة القبيلة! ممّا يحدو ببعض المغفلين لأن يتفاخر بالقول: لقد دفنت ابنتي اليوم بيدي كي لا تقع غداً أسيرة في يد الأعداء! فإن كان الشيطان يزيّن أقبح الأعمال مثل وأد البنات بنظر بعض الناس بهذه الحال، فحال بقية الأعمال معلوم. ونرى في يومنا الكثير من أعمال الناس التي سيطر عليها زخرف الشيطان، فراحوا ينعنون سرقاتهم وجرائمهم بعبارات تبدو مقبولة فيخفون حقيقتها في طي زخرف القول. ثم يضيف القرآن: إن مشركي اليوم على سنة من سبقهم من الماضين من الذين زينوا أعمالهم بزخرف ما أوحى لهم الشيطان (فهو وليهم اليوم)، يستفيدون ممّا يعطيهم إِيَّاه.